د. نبيه القاسم

سميح القاسم

مُبْدِع لا يَستأذنُهُ أَحَدًا

(دراسات في إبداعه)

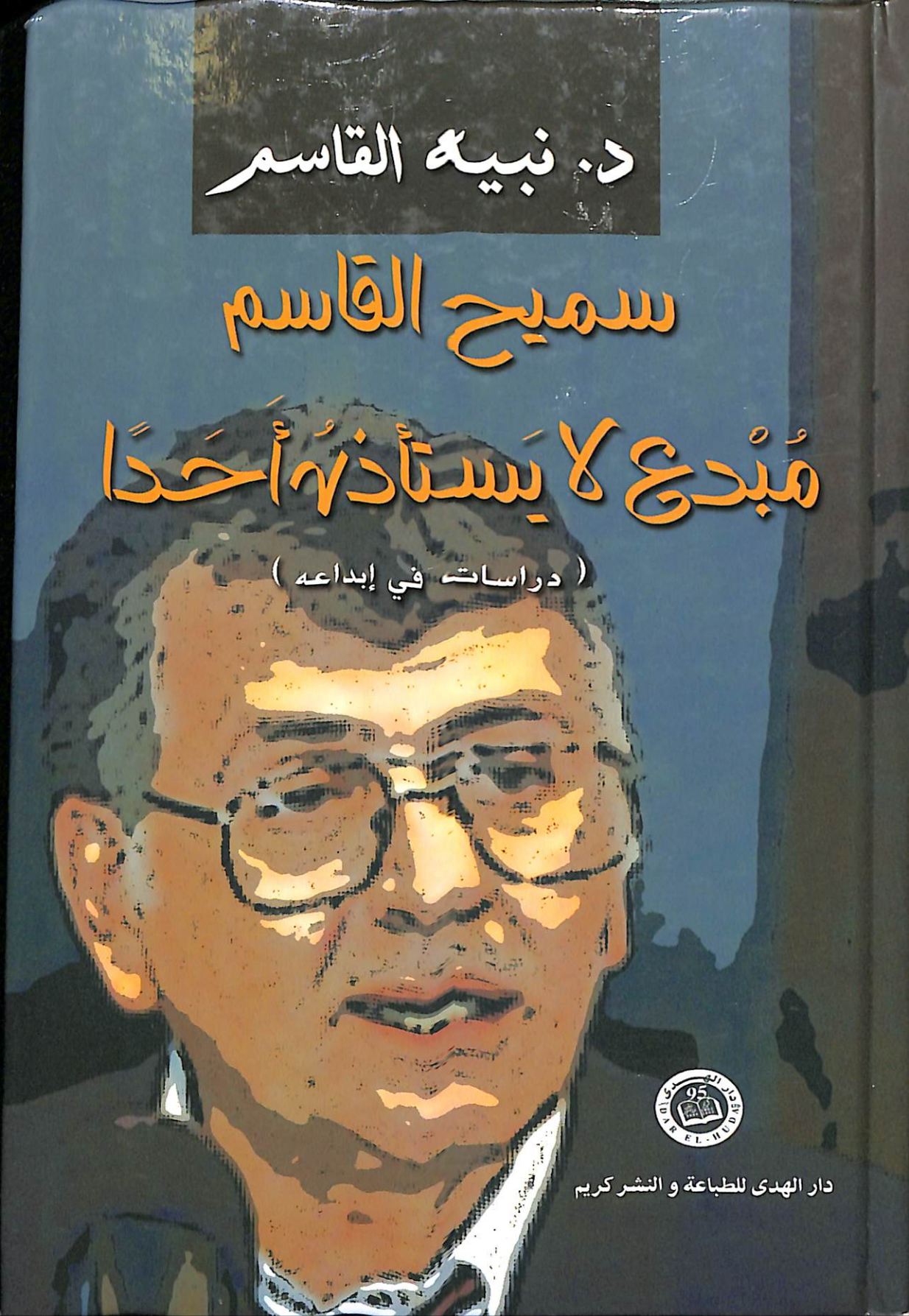

دار الهدى للطباعة و النشر كريم

سميح القاسم

مُبدع لا يستأذنُ أحدا

د. نبيه القاسم

الطبعة الأولى عام ٢٠١٣

حقوق الطبع محفوظة

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher or the author.

جميع الحقوق محفوظة. لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مُسبق من الناشر أو المؤلّف.

www.nabih-alkasem.com

دار الهدى للنشر والتوزيع، كريم ٢٠٠١

الفهرس

سميح القاسم مُبدع لا يستأذن أحدا	٥
«إلى الجحيم أيها الليلك» والرؤية الثورية الإنسانية	٥٥
«لا أستأذن أحدا» ورحلة سميح القاسم الابداعية	٨١
سُبحة لسجلات سميح القاسم	١٠٩
«ملعقة سمّ صغيرة ثلاث مرّات يوميًا» ويبقى ما يستحقّ الحياة	١٤٧
كولاج سميح القاسم عمل متميّز	١٧٧
كولاج ٢ و ٣، سميح القاسم في تألّقه المستمرّ	١٩٧
مركزيّة الموت في كولاج سميح القاسم	٢٤٣
المرأة اليهوديّة في روايات سميح القاسم	٢٧٧

سميح القاسم
مُبْدع لا يَسْتأذنُ أحَدًا*[21]

الاسم الكامل: سميح محمد القاسم محمد الحسين

الولادة: مدينة الزرقاء – الأردن يوم ١١/٥/١٩٣٩

البلدة: الرامة – الجليل الغربي

متزوّج من نوال سلمان هزيمة حسين. وله أربعة أبناء: وطن محمد، وضّاح، عمر، ياسر.

---

*١- هذه الدراسة نَشرت في المجلّد الأوّل من «موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث» إعداد وتحرير د. ياسين كتانة. إصدار مجمع القاسمي للغة العربية وإدابها في أكاديميّة القاسمي ٢٠١١. وقد أضفت عليها الزيادات الموجبة والمهمّة.

حياته:

ولد الشاعر سميح القاسم يوم ١١/٥/١٩٣٩ في مدينة الزرقاء في الأردن حيث كانت الأسرة تُقيم بسبب كون الوالد ضابطا برتبة رئيس (كابتن) في قوة حدود شرق الأردن. وقد عادت الأسرة لتستقر في بلدتها الأصلية الرامة في الجليل الغربي من فلسطين بسبب الحرب العالمية الثانية.

أنهى سميح دراسته الابتدائية في مدرسة الرامة وانتقل لمتابعة دراسته الثانوية في مدينة الناصرة حيث زامَل العديد من الطلاب الوافدين من قرى عربية عديدة للدراسة في الناصرة، وتصادق مع شعراء وكتّاب ناشئين مثل: راشد حسين، شكيب جهشان، جمال قعوار، طه محمد علي، عمر حمودة الزعبي، توفيق فياض، فرج نور سلمان، أحمد ريناوي وسواهم.

وخلال الدراسة الثانوية بدأت مواهب الإبداع الشعري تتفتّح عند سميح بمقطوعات شعرية يكتبها على دفاتر الدراسة وفي الرسائل الجميلة التي يُرسلها لأصدقائه. وقد شكّل مع الزملاء الموهوبين حلقات أدبية يعرض كلّ منهم ما أبدع.

ما كاد سميح يُنهي دراسته الثانوية حتى ووجه بأوّل تَحَدّ كبير عليه التصدّي له، وهو فَرْض قانون التجنيد الإجباري الذي فرضته حكومة إسرائيل على أبناء الطائفة الدرزية عام ١٩٥٦. وقد كان رفض سميح لهذا القانون صريحا وواضحا وعاليا، وقام بتشكيل أوّل تنظيم سياسي مُعارض لتجنيد الشباب الدروز باسم «الشبّان الدروز الأحرار» تيّمنا بتنظيم «الضبّاط الأحرار» بقيادة جمال عبد الناصر في مصر، ضمّ العَشرات من الشبّان الدروز في

حينه، حيث قاموا بتوقيع البيانات وإقامة الندوات والاجتماعات التي يُعلنون فيها موقفَهم الرافض لقانون التجنيد الإجباري. وسارعت سلطات الجيش، وألقت القبض على سميح، وأودعته سجون الجيش المختلفة، وفرضت عليه أعمالا صعبة لكسر معنويّاته مثل أن أرسله الجيشُ ليعمل في غرفة الموتى في مستشفى رمبام في حيفا لفترة من الزمن، وفي شقّ شوارع.

لكن سميح بقي صامدا.

وشعر المسئولون في الجيش أنّ اختلاط سميح بالمُجَنّدين الآخرين يُشكّل خطرا، وقد يُحرّضهم على التمرّد، فقرّروا أخيرا تسريحه من الخدمة، فعاد إلى الرامة وأسرته، وعمل في الكثير من الأعمال الصعبة، والتحق لفترة بمعهد التخنيون في حيفا للدراسة في قسم الهندسة، ثم التحق بسلك التعليم وعمل مدرّسا في بعض المدارس الابتدائية لفترات متقطعة حيث كان المسئولون ينقلونه من بلدة لأخرى قصْد إرغامه على السكوت والقبول بالأمر الواقع. لكن سميح تابع طريقَه النّضالي، واستمرّ في نشر القصائد التي تتغنّى بالثورة والأمجاد العربية، ولم تكن مجموعتُه الأولى «مواكب الشمس، ١٩٥٨» إلاّ المُبشّرة بالمجموعة الثانية «أغاني الدروب، ١٩٦٤» ممّا دفع بالمسئولين في وزارة المعارف لاتّخاذ قرار فَصْل سميح القاسم من العمل.

قامت السلطات الإسرائيلية باعتقال الشاعر سميح القاسم المرّات العديدة، وفرضت عليه الإقامة الإجباريّة والاعتقال المنزلي في غرفته في حيفا من مغيب الشمس حتى شروقها، وإثبات وجوده في مركز الشرطة خمس مرّات في اليوم، وحاولت اتّهامه بمختلف التّهم المُلفّقة، وصادرت العديد من مجموعاته الشعرية حتى أنّ

الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر الذي كان في زيارة للبلاد تدخّل، واعترض على أثر مُصادرة ديوان «ويكون أن يأتي طائر الرعد، ١٩٦٩».

وقَبل سميح عَرْضا من الصَحفي اليساري المعروف أوري أفنيري، مُحرّر وصاحب مجلة «هعولام هازيه» اليساريّة العبريّة واسعة الانتشار لرئاسة تحرير مجلة «هذا العالم» التي ينوي إصدارها (١٩٦٦). لكنّ سميح اختلف وأوري أفنيري على مَواقف مَبدئيّة جوهريّة، وترك العملَ في «هذا العالم» بعد أشهر، وعمل محررا في صحف الحزب الشيوعي، فحرّر في «الغد» و «الاتّحاد» و «الجديد».

لم يكتف سميح بعمَله الصحافي، وإنّما قام وأسّس مع الكاتب عصام خوري «منشورات عربسك- ١٩٧٣» وأدار «المؤسسة الشعبية للفنون» في حيفا.

شغل سميح القاسم بالإضافة لعمله في تحرير مجلة «الغد» وجريدة «الاتّحاد» ورئاسة تحرير مجلة «الجديد» منصب رئيس «اتحاد الكتّاب العرب» ورئس تحرير مجلة اتحاد الكتّاب «٤٨» الفصلية، وفيما بعد رئاسة «الاتّحاد العام للكتّاب العرب الفلسطينيين» في إسرائيل. ورئاسة تحرير مجلة «إضاءات» الفصليّة. وانتُخبَ لأكثرَ من مرّة عضوا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي. وانتُخبَ لدورتين عضوا في مجلس محلي بلدته الرامة عن قائمة الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة.

ورئسَ سميح القاسم لسنوات تحرير جريدة «كل العرب» التي تصدر في مدينة الناصرة، واستقال بعد تعرّضه لحادث طرق أليم بعد ظهر يوم ١١ كانون اول ٢٠٠٢ في طريق عودته من مدينة الناصرة إلى بلدته الرامة، أقعدَه لأشهر في بيته في الرامة.

كانت السنوات الأخيرة صعبة وقاسية على المستويين العام والخاص. فعلى المستوى الفلسطيني والعربي والعالمي كانت حرب الانتفاضة الثانية عام ٢٠٠٠ في كل الأراضي الفلسطينيّة المحتلة وداخل إسرائيل، وقيام القوات الإسرائيليّة بإعادة احتلال معظم الأراضي الفلسطينيّة، وتدمير البنية التحتيّة في كل الأراضي المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزّة، وقتلت وجرحت المئات. ثم قامت بمحاصرة الرئيس ياسر عرفات في مَقَرّ رئاسته في رام الله حتى يومه الأخير. واحتلّت القوات الأمريكيّة وحلفاؤها العراق منتصف عام ٢٠٠٣. وغزت القوّات الإسرائيليّة الأراضي اللبنانية بما عُرفَت بحرب لبنان الثانية صيف عام ٢٠٠٦، وغزت كذلك قطاع غزّة وقتلت وجرحت ودمّرت البنية التحتية أواخر عام ٢٠٠٨.

وعلى المستوى الشخصي تعرّض الشاعر سميح القاسم لحادث طرق كاد يودي بحياته بعد ظهر يوم الاربعاء الموافق ٢٠٠٢/١٢/١١، ثم كان موت القائد الرّمز ياسر عرفات يوم ٢٠٠٤/١١/١١، وموت الشاعر محمود درويش يوم ٢٠٠٨/٨/٩، إضافة إلى موت العديد من المعارف والأقارب وأفراد الأسرة.

وكانت الصدمة الكبرى على المستوى الشخصي والعائلي والعام إبلاغ الطبيب للشاعر سميح القاسم أنّه مُصاب بمرض السرطان يوم ٢٠١١/٧/١٢.

لكنّ سميح تجاوز كلّ هذه المحَن العامّة والخاصّة، وواجهها بقوّة وثقة وإيمان وتحدّ، وصمدَ، ووصل إلى الفَوز بتحقيق حلم راوده وأقلقه كثيرا بأن يحتفل بزواج أحد أبنائه، حيث حظي بزواج ابنه ياسر يوم ٢ تموز ٢٠١٢ في حفل كبير تحوّل إلى عرس وطنيّ.

يلقي الناقد د. نبيه القاسم في هذه الدراسات الضوءَ على الجوانب المتعددة والمتميزة في إبداعات الشاعر سميح القاسم، فهو لم يقف عند حدود ظواهر المفردة والجملة، وإنّما تعدّاها إلى ما تحمله من دلالات وأبعاد. كما وأبرز مراحل التطوّر والتجدّد والتفرّد في إبداعاته الشعرية منها والنثريّة. وقد تركزت الدراسات حول رواياته النثرية وثلاث مجموعات شعريّة تعتبر محطات مهمة في تجربة سميح القاسم الإبداعية.

حقوق الطبع محفوظة ©

دار الهدى للطباعة و النشر كريم
كريم عزالدين عثامنة / كفرقرع
هاتف: 04-6354114 فاكس: 04-6356470
شخصي: 050-5206509-5957653-6950555
E-mail: darelhuda@gmail.com
darelhda@012.net.il
www.darelhuda.net